موقع مسجد التوحيد - بلبيس

www.altawhed.net

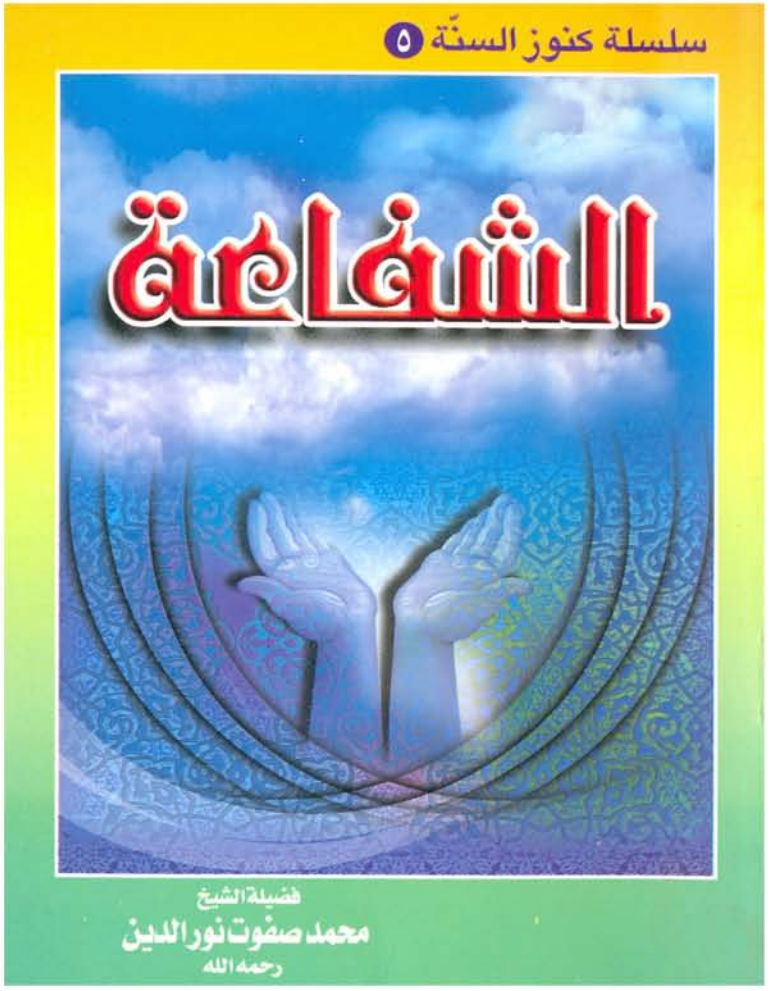

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

تصحيح العقائد والمفاهيم

الشفاعة

تأليف

فضيلة الشيخ / محمد صفوت نور الدين

- رحمه الله -

www.altawhed.net

www.altawhed.net

ولهذا كان من أعظم ما يكرم به الله عبده محمداً ﷺ: هو الشفاعة التي يخصه بها، وهي المقام المحمود الذي يحمده به الأولون والآخرون، وعلى هذا لا تحتاج الآية إلى حذف، بل يكون معناها: يومئذ لا تنفع الشفاعة لا شافعاً ولا مشفوعاً: ﴿إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [طه: ١٠٩].

ولذلك جاء في «الصحيح»(١٨): أن النبي ﷺ قال: «يا بني عبد مناف لا أملك لكم من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أملك لك من الله شيئاً، يا عباس عم رسول الله، لا أملك لك من الله شيئاً».

وفي «الصحيح»(١٩) أيضاً: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: أغثني، أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك».

فيعلم من هذا أن قوله: ﴿وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، و﴿لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾ [النبأ: ٣٧]، على مقتضاه، وأن قوله في الآية: لا

(١٨) أخرجه البخاري (١٣٦٥).
(١٩) مسلم (١٨٣١).

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

يملكون منه، كقوله ﷺ: «لا أملك لكم من الله من شيئاً». وهو كقول إبراهيم لأبيه ـ عليه السلام ـ: ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤]، فقد أخبر الخليل عليه السلام أنه لا يملك لأبيه من الله من شيء، فكيف غيره ؟!!

فقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [طه: ١٠٩]، يدخل فيها الشفاعة من أهل الموقف عموماً، وفي أهل الجنة تُستفتح لهم الجنة، وفي المستحقين للعذاب ينجيهم الله منه، وهو سبحانه في هذه وتلك لم يذكر العمل، إنما قال: ﴿وقال صواباً﴾، وقال: ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾، ولكن قد دل الدليل على أن القول الصواب المرضي لا يكون صاحبه محموداً إلا مع العمل الصالح، لكن نفس القول مُرض، فقد قال الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ٩].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، ـ رحمه الله ـ: فلا يملك مخلوق الشفاعة بحال ولا يتصور أن يكون نبي، فمن دونه مالكاً لها، بل هذا ممتنع كما يمتنع أن يكون خالقاً وربّاً، وهذا كما قال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ

www.altawhed.net

www.altawhed.net

فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴾، فنفى الملك مطلقًا، ثم قال: ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ [سبأ: ٢٣]، فنفى نفع الشفاعة إلا لمن استثناه، ولم يثبت أن مخلوقًا يملك الشفاعة، بل هو سبحانه له الملك وله الحمد لا شريك له في الملك، قال تعالى: ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا * الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ [الفرقان: ١، ٢].

ولهذا لما نفى الشفعاء من دونه؛ نفاهم نفيًا مطلقًا بغير استثناء، وإنما يقع الاستثناء إذا لم يقيدهم بأنهم من دونه، كما قال تعالى: ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ﴾ [الأنعام: ٥١]، وكما قال تعالى: ﴿ وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ﴾ [الأنعام: ٧٠]، وكما قال تعالى: ﴿ ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ﴾ [السجدة: ٤].

فلما قال: ﴿ من دونه ﴾ نفى الشفاعة مطلقًا، وإذا ذكر (بإذنه) لم يقل: (من دونه)، كقوله: ﴿ من ذا الذي

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿ ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴾[٢٠] [يونس: ٣].

وإنما تنال الشفاعة بشهادة ألا إله إلا الله، وهي شهادة الحق؛ لقوله تعالى: ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ [الزخرف: ٨٦]، والأحاديث الصحيحة الواردة في الشفاعة تبين أنها تكون لأهل لا إله إلا الله.

فمن والى غير الله، ودعاه، وحج إلى قبره، ونذر له، وحلف به، وقرّب له القرابين ليشفع له؛ لم يغن ذلك عنه من الله شيئًا، وكان من أبعد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره، فإن الشفاعة إنما تكون لأهل توحيد الله، وإخلاص القلب والدين له، ومن تولى أحدًا من دون الله فهو مشرك، ويعامل بضد مقصوده؛ لأنه قصد شفاعة من عبدهم، ولو كانوا من الأنبياء أو الملائكة أو الأولياء الصالحين، حيث أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، فإن الشفاعة من الله

(٢٠) تدبر هذه القاعدة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية لتعلم أن الشفاعة المثبتة ليست من دونه، بل هي من بعد إذنه، وأن الشفاعة المنفية من دونه ولا يأذن فيها مطلقًا.

www.altawhed.net

www.altawhed.net

مبدؤها، وعلى الله تمامها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه، وهو الذي يأذن للشافع ويقبل شفاعته في المشفوع له، فالشفاعة من رحمته سبحانه، وأحق الناس برحمته أهل التوحيد والإخلاص له، وأحق الناس بعذابه من أشركوا معه غيره، أو عدلوا به بعض خلقه، فانتفاع العباد بالشفاعة له شروط يتوقف عليها، وله موانع من تحققها، ولو كانت الشفاعة للكفار تنجيهم من النار لنجى أبو إبراهيم وعم النبي ﷺ.

نفي الشفاعة الحقة قول المبتدعة:

أما الشفاعة لأهل الذنوب من الموحدين فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم، وإنما أنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية؛ لأنهم يقولون: (من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها)، فأنكروا المتواتر من السنة في ذلك، بل وآيات القرآن المثبتة للشفاعة، محتجين بآيات من القرآن اشتبه عليهم معناها، مثل قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، وقوله: ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وقوله:

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

﴿من قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وبقوله: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع﴾ [غافر: ١٨]، وبقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

والجواب عن ذلك أن هذه الآيات نفت الشفاعة أن تنفع المشركين كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٦- ٤٨]، وفي «الصحيح»(٢١) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا».

وفي «السنن»(٢٢) عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا».

(٢١) تقدم.

(٢٢) سنن الترمذي (٢٤٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦).

www.altawhed.net

www.altawhed.net

لو تدبر المسلم ذلك كله عرف أن الشفاعة المثبتة كلها للَّه تعالى، منه بدأت تقديراً وتشريعاً وله قبولها وردها، ولا تكون إلا من بعد إذنه شرعاً، ويحدد رب العزة لها وقوعها، ومن تصيب، أما الشفاعة المنفية فهي الشفاعة من دونه.

واعلم أن البدعة إنما تدخل على من أهمل من الشرع نصوصاً، وأعمل أخرى، وأن أهل السنة جمعوا كل النصوص وفهموا الشرع كاملاً بنصوصه قرآناً وسنة، وكان على ذلك الصحابة الكرام والسلف الصالح من بعدهم.

الشفاعة ملك لله وحده:

قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلاَ يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤]، وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣].

فالشفاعة لمن له ملك السماوات والأرض، وله الشفاعة وحده، قدرها ليرحم عباده، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيمن يشاء، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه وأمره سبحانه، ولا يشفع إلا لمن أذن بالشفاعة له، فهذه هي الشفاعة الحقة،

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

وهي ضد الشفاعة الشركية التي أبطلها رب العالمين، وتعلق بها المشركون: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

فالشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤].

فشفاعة الشريك، أو المالك، أو الظهير أبطلها الله سبحانه، والشفاعة المثبتة شفاعة العبد المأمور المطيع لسيده، فلا يتقدم بين يدي سيده بشفاعة حتى يأذن له سيده ومولاه ويرضى منه الشفاعة، ولذا كانت ألفاظ حديث الشفاعة موضحة بقول النبي ﷺ: «فأسجد عند العرش، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيلهمني ربي بمحامد لم يلهمها لأحد من قبلي، ثم يقول: ارفع محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعط، فأرفع رأسي، فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشفع».

فتدبر ذلك، واعلم أنه لا يشفع نبي، أو رسول، ولا مَلك، أو مؤمن، أو شهيد، إلاَّ بعد أن يقال له: اشفع، وعلى

www.altawhed.net

www.altawhed.net

ذلك تحمل جميع النصوص الواردة في الشفاعة، لكنَّ المشركين يظنون شفاعة الآخرة كشفاعاتهم في الدنيا، يشفع عنده وهو كاره للشفاعة، فيرضخ لشفاعته، ولو كارهاً؛ لأنه ذو ملك أو سلطان أو صاحب منزلة يخشاها، وكذلك شفاعة المؤمنين التي وردت في الحديث الطويل من قول النبي ﷺ لأصحابه: «فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق، قد تبين لكم مَنِ المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون فيقول: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافته كما تنبت الحبة في حميل السيل»(٢٣).

وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾، ويقول: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾، فالله سبحانه علقها برضاه عن المشفوع له وإذنه للشافع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة، وذلك لأن الأمر كله لله، وأن الرسل والملائكة والمؤمنين عبيد لله لا يسبقونه بالقول ولا بالفعل إلا من بعد إذنه، فهم مملوكون وهو ربهم، وفي ذلك اليوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله.

أما الشفاعة التي يظنها المشركون في شركائهم، حيث جهلوا حق الرب سبحانه وقاسوه على الخلق قياساً فاسداً عبدوا به الأصنام، فظنوا شفاعة شركائهم عند الله من جنس شفاعة المخلوقين عند بعضهم، فإن هؤلاء الخلق هم القائمون بمصالحهم وهم أعوانهم وأنصارهم، ولولاهم لما ملكوا الناس ولا حكموا فيهم، فحاجتهم إليهم تجعلهم يقبلون شفاعتهم ولو على كره منهم، وإن لم يأذنوا فيها

(٢٣) تقدم.

www.altawhed.net

www.altawhed.net

ولم يرضوا عن الشافع فلا يجدون بدًّا من قبول شفاعتهم وإلا تركوا طاعتهم وقدموا غيرهم، لكن الله غني عن الشريك والظهير والمعين، ولو أهلكهم جميعًا ما نقص ملكه ولا عزه ولا سلطانه مثقال ذرة.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

الفرق بين شفاعة الخالق وشفاعة المخلوق

وشفاعة الخلق قد تكون شفاعة عند من يكره المشفوع له، لكن له عند الشافع مصالح لا تقضى إلا أن يرضى، فهو يرضيه، وقد يكون عند المشفوع عنده من المعارض ما يجعله يقبل الشفاعة ويكون المعارض قويًّا قوة ترد بها الشفاعة، أو ضعيفًا فتقبل معه الشفاعة، وليس شأن الله كذلك، فليس له عند خلقه رغبة ولا رهبة، بل كل الخلق تحت قبضته وفي ملكه وتصرفه، فلو شاء جعل الخلق كلهم طائعين، ولو شاء لم يخلق معصية، وكذلك فإنه سبحانه إن لم يخلق شفاعة الشافع ولم يأذن له ويحبها منه ويرضى فلا تقع أبدًا، وشفاعة الشافع وإن كانت علوًّا لمنزلته إلا أنه امتثال لأمره وطاعة له، وكل طاعة من العبد لربه رفعة. فشرف للعبد في عبوديته لربه.

لماذا كانت الشفاعة العظمى لنبي هذه الأمة؟

ينبغي لكل عبد مستقيم أن يؤمن بأن الله هو الحكم العدل، وأنه لا يظلم أحدًا مثقال ذرة، وليس عنده من فضل لأحد من خلقه إلا بالتقوى والعمل الصالح، وأما التفضيل

www.altawhed.net

www.altawhed.net

للذات بغير تقوى أو عمل صالح، فذلك هو الذي انحرفت به بنو إسرائيل فقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، ففي سورة «المائدة»: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

ولذا فإن الله ـ عز وجل ـ لم يفضل أمة لذاتها، إنما فضل الأمة لعملها، ولو فاقها غيرها في العمل لكان خيراً منها، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن كثير: فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في حجة حجها رأى من الناس سرعة، فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية. ثم قال: من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها. رواه ابن جرير.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ الآية [المائدة: ٧٩].

ولهذا لما مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات، شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم.

قال الرازي في تفسيره: قال بعضهم: لو شاء الله تعالى لقال: «أنتم»، وكان هذا التشريف حاصلاً لكلنا، ولكن قوله: «كُنتم» مخصوص بقوم معينين من أصحاب الرسول ﷺ، وهم السابقون الأولون ومن صنع مثل ما صنعوا.

(وقال أيضاً): ثم ذكر عقيب هذا الحكم هذه الطاعات، أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات.

وكذلك هذه الأمة قامت بمهمة الرسل بعد رسولها ﷺ، فكانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون إلى الإيمان بالله تعالى، وقد كانت قبلهم الأمم كلما قضى رسول بعث الله نبياً ورسولاً، كما أخرج البخاري ومسلم(٢٤) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله

(٢٤) البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (١٨٤٢).

www.altawhed.net

www.altawhed.net

ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى: ﴿كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ الآية [المائدة: ٧٩].

ولهذا لما مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات، شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم.

قال الرازي في تفسيره: قال بعضهم: لو شاء الله تعالى لقال: «أنتم»، وكان هذا التشريف حاصلاً لكلنا، ولكن قوله: «كُنتم» مخصوص بقوم معينين من أصحاب الرسول ﷺ، وهم السابقون الأولون ومن صنع مثل ما صنعوا.

(وقال أيضاً): ثم ذكر عقيب هذا الحكم هذه الطاعات، أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات.

وكذلك هذه الأمة قامت بمهمة الرسل بعد رسولها ﷺ، فكانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون إلى الإيمان بالله تعالى، وقد كانت قبلهم الأمم كلما قضى رسول بعث الله نبياً ورسولاً، كما أخرج البخاري ومسلم[٢٤] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله

(٢٤) البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (١٨٤٢).

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

أولاً: كل نبي كان يُبعث إلى قومه خاصة، وبعث النبي ﷺ للناس كافة، بل بعث للإنس والجن عامة، فكذلك له الشفاعة العامة كما كانت له الرسالة العامة.

ثانياً: أتباع هذا النبي والداخلين الجنة منهم هم أكثر الأمم؛ لحديث النبي ﷺ الذي أخرجه الشيخان[٢٦] من رواية ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك».

ولما كان الدال على الخير كفاعله، ومن سن سنة حسنة في الإسلام فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة؛ كان ﷺ له هذه الأجور المضاعفة، وكانت له المكانة العالية «المقام المحمود».

(٢٦) البخاري (٣٢٢٩)، ومسلم (٢٢٠).

www.altawhed.net

www.altawhed.net

ثالثًا: أن النبي ﷺ ادخر دعوته المستجابة لتكون يوم القيامة شفاعة، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم(٢٧) عن أبي هريرة وأنس، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «لكل نبي دعوة مستجابة واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، وهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئًا».

قال ابن حجر: المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة؛ القطع بها، وما عدا ذلك من دعواتهم فهو على رجاء الإجابة. وقيل: أفضل الدعوات، وقيل: دعوة عامة مستجابة لأمته، وتدبر أن دعوات النبي كانت على رجاء الإجابة لا على القطع بها، فلقد دعى على أقوام بالإهلاك فقال له رب العزة سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وجاء في الحديث الصحيح: «سألت ربي ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة».

فكانت سائر الدعوات على رجاء الإجابة، أما الدعوة المستجابة فادخرها النبي ﷺ شفاعة للأمة يوم القيامة.

(٢٧) تقدم.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

الشفاعة الحقة وإنكار أهل الضلال:

أخرج مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان، باب: خروج عصاة المؤمنين من النار، بسنده عن يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج(٢٨) على الناس، قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالسًا إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله، ما هذا الذي تحدثون، والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، و﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعني الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يُخرج الله به من يُخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال: وأخاف ألا أكون أحفظ ذلك، غير أنه قد زعم أن قومًا

(٢٨) أي: نخرج على الإمام علي بن أبي طالب لأن الخوارج استحلوا دماء المسلمين، والخروج عليهم بالسيف.

www.altawhed.net

www.altawhed.net

يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم[٢٩]، قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس، فرجعنا، قلنا: ويحكم، أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ، فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد.

قال ابن حجر في «الفتح»: إن الخوارج الطائفة المشهورة المبتدعة كانوا ينكرون الشفاعة، وكان الصحابة ينكرون إنكارهم ويحدثون بما سمعوا من النبي ﷺ في ذلك.

ثم ذكر حديث البيهقي، قال: ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعة، فقال رجل: إنكم لتحدثون بأحاديث لا نجد لها في القرآن أصلاً، فغضب وذكر له ما معناه: إن الحديث يفسر القرآن.

ثم ذكر ابن حجر، عن أنس قال: من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها.

(٢٩) قال ابن حجر: هو ما ينبت فيه السمسم.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

ثم ذكر عن البيهقي عن ابن عباس: خطب عمر فقال: إنه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم، ويكذبون بالدجال، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار.

ثم ذكر عن أنس قال: يخرج من النار ولا نكذب بها كما يكذب بها أهل حروراء؛ يعني الخوارج.

قال ابن بطال: أنكرت المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أدخل النار من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وغير ذلك من الآيات. وأجاب أهل السنة بأنها في الكفار، وجاءت الأحاديث في إثبات الشفاعة المحمدية متواترة، ودل عليها قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، والجمهور على أن المراد به الشفاعة، وبالغ الواحدي فنقل فيه الإجماع.

أنواع الشفاعة:

الأولى: الشفاعة في إراحة أهل الموقف بالإذن في الفصل والحساب، ودليلها حديث الشفاعة الطويل المشهور الذي يتنحى فيه عن الشفاعة الأنبياء والمرسلون، ثم يقول ﷺ: «أنا لها، أنا لها». ثم يشفع فيُشفع.

www.altawhed.net

www.altawhed.net

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

وبعد..

فإن من رحمة الله ـ تعالى ـ بالأمة أن جعل في كل زمان من يقوم بأمر الدين، كما أخبر الصادق الأمين ﷺ:

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله».

ولن يخلو زمان ـ إن شاء الله ـ من بقاء هذه الثُلة، فهم كالشهب والحراب في وجوه الزائغين، بهم يتميز الحق من الباطل، والغث من السمين، والرشد من الغي، فرحمهم الله وأعلى منازلهم، وأبقى ذكرهم ـ بالخير ـ إلى يوم القيامة.

وكان من جملة هؤلاء السادة:

فضيلة الشيخ / **محمد صفوت نور الدين**

نوَّر الله قبره بالنور المبين.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

فقد قام لله وبالله، يزود عن حياض الدين، ويدفع كل بدعة يروم لها كل أفاك أثيم، نذر نفسه لله، وقلمه للذب عن شريعته، كان ـ رحمه الله ـ شجى في حلق أهل الضلال، وقذى في عيونهم.

ومن تتبع مقالاته وكلماته علم ذلك علْم اليقين.

وها نحن نجلي ذلك عياناً ونظهر أبحاثه تبياناً، ليستيقن أهل الإيمان، ويئوب أهل الطغيان، و﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

وها هو ـ أخي القارئ ـ بين يديك كتاب «الشفاعة»، وفيه بيان مذهب أهل الحق والطاعة، خلافاً للقبوريين والخوارج والمعتزلة ومن سار على دربهم وأذاع هذه الشناعة.

وإلى هؤلاء جميعاً نهدي هذه المقالة.

وستتوالى الأبحاث تباعاً ـ إن شاء الله ـ لبيان الحجة لأهل المحجة والاستقامة.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

أحمد بن سليمان

www.altawhed.net

www.altawhed.net

والثانية: في استفتاح الجنة، وفيه حديث أبي هريرة الطويل الذي جاء فيه: «بك أمرنا أن نفتح».

والثالثة: شفاعته لقوم استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة.

والرابعة: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع لهم أن لا يدخلوها.

الخامسة: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة مراتبهم ورفع درجاتهم.

السادسة: شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم فيخرجهم الله بشفاعته رحمة منه سبحانه، ثم يدخلهم الجنة.

السابعة: شفاعته في أبي طالب أن يخفف الله عذابه في النار، فيكون في ضحضاح النار، بعد أن كان في غمرات النار.

الثامنة: شفاعته لمن قال: لا إله إلا اللّه، ولم يعمل خيراً قط، وهذه لمن قالها خالصة من قلبه، وهي التي يقول له رب العزة سبحانه فيها: «ليس ذلك إليك»، ويخرجهم رب العزة برحمته فيدخلهم الجنة.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

وشفاعة النبي ﷺ لأبي طالب ثابتة بالأحاديث الصحيحة وهي شفاعة لكافر لم تخرجه من النار، ولذا قال ابن حجر في «الفتح»: الشفاعة في الكفار إنما امتنعت لوجود الخبر الصادق في أنه لا يشفع فيهم أحد وهو عام في حق كل كافر فيجوز أن يخص منه من ثبت الخبر بتخصيصه. قال: وحمله بعض أهل النظر على أن جزاء الكفار من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه، فيجوز أن الله يضع عن بعض الكفار بعض جزاء معاصيه تطييباً لقلب الشافع لا ثواباً للكافر؛ لأن حسناته صارت بموته على الكافر هباءً، ثم قال: إن التخفف عنه - يعني أبا طالب - لم يجد أثر التخفيف، فهو يعتقد أن ليس في النار أشد عذاباً منه، وذلك أن القليل من عذاب جهنم لا تطيقه الجبال، فالمعذب لاشتغاله بما هو فيه يصدق عليه أنه لم يحصل له انتفاع بالتخفيف. انتهى مختصراً.

وحب النبي ﷺ من أجلّ القربات إلى الله وسبب لرفع درجات العبد في الجنة بشرط أن يكون مقروناً بالتوحيد، فإن المشرك لا ينفعه حب النبي ﷺ، ولذا لم يخرج أبو طالب من النار رغم فرط حبه للنبي ﷺ، بل

www.altawhed.net

www.altawhed.net

مات كثير من المشركين في مكة وهم يحبون النبي ﷺ ويحبون صدقه وأمانته، ومع ذلك لم ينفعهم ذلك الحب، ولا تنالهم الشفاعة، والحديث الصحيح في ذلك واضح: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه».

أخرج البخاري ومسلم(٣٠) عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لذريتك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل اللّه، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله فيؤتى موسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد، فأوتى فأقول: أنا لها، ثم أنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن الله يلهمنيها، ثم أخر لربنا ساجداً، فيقول: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي، أمتي. فيقول:

(٣٠) البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (١٩٣).

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقول لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي، أمتي. فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أعود إلى ربي أحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي، أمتي. فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل».

زاد أبو سعيد، رضي الله عنه: «ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا اللّه، قال: فليس ذلك لك، أو قال: ليس ذلك إليك، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا اللّه».

www.altawhed.net

www.altawhed.net

وفي رواية أخرى: أن كل نبي يذكر خطيئة إلا عيسى، وأن آدم أحال على نوح. وفي رواية قال: «ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن - أي وجب عليه الخلود». ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾. قال: «وهذا المقام المحمود الذي وعد نبيكم». زاد في رواية فقال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة».

(ثم قال): «ما يزن برة». (ثم قال): «ما يزن ذرة». وفي رواية أبي هريرة: «أن كل نبي يقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله». (ثم يقول): «نفسي نفسي نفسي». (وجاء فيها): «أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب». ثم قال: «والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر»، أو «كما بين مكة وبصرى».

وأخرج مسلم(٣١) عن حذيفة وأبي هريرة، رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله تبارك وتعالى

(٣١) مسلم (١٩٥).

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟ لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً، قال: فيأتون موسى، فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق». قال: قلت: بأبي وأمي، أي شيء كمر البرق، قال: «ألم تروا إلى البرق وكيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط، يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة، بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج ومكدوس في النار».

www.altawhed.net

www.altawhed.net

وأخرج البخاري ومسلم(٣٢) عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً: لو كانت لك الدنيا كلها وما فيها أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم؛ أن لا تُشرك بي ولا أدخلك النار، وأدخلك الجنة، فأبيت إلا الشرك».

من يستعرض الحديث الطويل الذي روته كتب السنة في الشفاعة يلاحظ أن في الحديث اختصاراً، ذلك أنه بدأ الحديث بذكر ما أصاب الناس من شدة يوم القيامة، وأنهم ألهموا أن يطلبوا الشافع الذي يشفع لهم للنظر في الأعمال، والفصل في القضاء لينصرفوا من الموقف من شدة ما يلقون فيه، ثم يطلبون من آدم، ثم من نوح، ثم من إبراهيم، ثم من موسى، ثم من عيسى، عليهم السلام جميعاً، فيأبى كل واحد منهم ويستحي من ربه ولا يتعرض للشفاعة ويحيل على غيره، ثم يذهبون إلى محمد ﷺ، الذي يستأذن على ربه ويسجد فيشفع.

(٣٢) البخاري (٦١٨٩)، ومسلم (٢٨٠٥).

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

بعد ذلك السياق يقال له: «يا محمد، ارفع رأسك، واشفع تشفع، وقل يسمع لك، وسل تُعط، فيقول: أمتي، أمتي. فيقال له: أخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه مثقال حبة بر من خير».

فانظر كيف كان أول الحديث طلب الشفاعة للإذن في الفصل والحساب، ثم يقول النبي ﷺ: «أنا لها، أنا لها». ثم إذا أذن له في الشفاعة يقول: «أمتي، أمتي». ويقال له: «أخرج من النار..». وهذا يدل على أمور:

الأول: أن الشفاعة في القضاء قد تمت، وأن الله قد حاسب الخلائق ووزن عليهم الأعمال.

ثانياً: أن أهل الجنة قد دخلوا الجنة، وأن أهل النار قد دخلوا النار، وفي ذلك أيضاً استفتاح الجنة بشفاعة النبي ﷺ.

ثالثاً: إذا كانت شفاعة النبي ﷺ تبدأ في عصاة الموحدين بإخراج أصحاب البرة من الخير، ثم الشعيرة، ثم الخردلة، أو الذرة، فالذي يُفهم من ذلك أن أصحاب الدينار والدرهم ومن فوق البرة قد أخرجوا من النار، وذلك أنهم يخرجون بشفاعات من المؤمنين والأنبياء والملائكة.

www.altawhed.net

www.altawhed.net

فكأن هذه الشفاعات تقع بين الشفاعة للإذن في الفصل في القضاء وبين الشفاعة لإخراج عصاة الموحدين من هذه الأمة من النار.

معنى هذا أن النبي ﷺ هو أول الشافعين، وهو آخر الخلق شفاعة، فله شفاعات متعددة يشفع فيها أولاً للخلائق، فيأذن رب العزة فيفصل بينهم، ثم يشفع فتفتح أبواب الجنة، ثم يشفع فيعفى عن أقوام فيدخلون الجنة بغير سابقة عذاب، وفيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم فيدخلون الجنة، وفي أقوام سحبوا إلى النار فيعفو عنهم ويدخلهم الله الجنة.

فكانت المنزلة الرفيعة للنبي ﷺ أن تقدم للشفاعة، حيث تأخر غيره من الأنبياء، وكذلك فيمن يخرجه الله سبحانه بشفاعته من النار ممن لم يقدر خروجه بشفاعة غيره، فإن كانت شفاعة غيره أخرج الله بها أهل الدينار ونصف الدينار، فإن شفاعة سيد الشفعاء يخرج الله تعالى بها أهل البرة والشعيرة والخردلة والذرة من الخير.

وفي ذلك نلاحظ أيضاً:

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

١- أن الشفاعة إنما هي منازل للشافعين، فيأذن الله سبحانه للشافعين بحسب منازلهم عنده، حتى يعلي الله ذكرهم ويرفع مقامهم أمام الخلائق يوم القيامة.

٢- أن البقاء في النار لمن دخلوها إنما هو عذاب، وعذاب النار لا يطاق، فيبقى أصحاب الدينار في النار ما شاء الله لهم أن يبقوا، ثم يلهم الله سبحانه المؤمنين فيشفعوا فيهم، ويذكرهم بأصحابهم ممن كانوا معهم في صالح الأعمال من الصلاة والزكاة والصيام والمساجد والخيرات، ثم يقبل الله شفاعتهم فيهم، ويأمرهم: أخرجوا منها من عرفتم ممن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان، ويبقى من هو دون الدينار يعذب في النار، ثم يشفع المؤمنون عند ربهم في إخوانهم فيأذن الله تعالى أن يخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال نصف دينار من الخير، ويبقى من هو دون النصف دينار في النار يعذب حتى يأذن للنبي ﷺ فيشفع عند ربه، فيأذن له في أصحاب البرة ويبقى من دون البرة في النار، ثم يشفع، وكل شفاعة يدع الله سبحانه الشافع ما شاء أن يدعه، وهؤلاء في النار يعذبون، ثم يأذن الله عز وجل فيخرج أصحاب الشعيرة، ويبقى من دون الشعيرة في النار يعذب..

www.altawhed.net

www.altawhed.net

وهكذا حتى يقال له: «أخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان». أو قال: «من خير».

٣- نفهم من هذا أن عذاب النار قد قدره الله على أقوام منهم يعذبون بالقدر الذي قدره رب العزة عليهم، ثم يخرجهم في الوقت الذي قدره سبحانه، ولا ينبغي لعبد أن يستهين بعذاب النار، بل ولا يستهين بشدة الموقف، حيث إن الناس يطلبون الفصل لينصرفوا من الموقف من شدة ما هم فيه، مع أن بعد الموقف جنة أو نار.

٤- عذاب النار يبلغ إلى من قدره الله سبحانه عليه، فالشافعون يذهبون فيخرجون من النار من قد امتحشوا فيها، فيخرجونهم، ومع ذلك لا يصيب هؤلاء الشافعين من النار ولا لفحها شيئاً؛ لأن المقدر لذلك هو اللّه.

٥- الشفاعة ليست تغير أمر قد قدره الله سبحانه، بل هي وقوع القدر الذي قدره الله سبحانه، فما بعث الله الخلائق إلا لحسابهم، ومع ذلك لا يأذن في الحساب إلا بشفاعة النبي ﷺ، فكأن الشفاعة إنما هي منزلة للشافع على الخلائق يوم الفصل والحساب.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

٦- أن الأنبياء وهم أعرف الخلق بربهم يستحيون من أمور يذكرونها ويسمونها معاصي، مع أن الله سبحانه عصم الأنبياء، ولو يؤاخذ بقية الخلق بمثل ما استحى منه الأنبياء لما كُتب لأحد من الخلق نجاة من النار.

٧- أن أهل التوحيد هم الناجون، وأهل الشرك لا نجاة لهم، فلا يخرج من النار مشرك، ولا يخلد فيها موحد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: كثير من العامة يقولون لمن توسل في دعائه بنبي أو غيره: قد تشفع به من غير أن يكون المتشفع به شفع له ولا دعا له، بل قد يكون غائباً لم يسمع كلامه ولا شفع له، وهذا ليس في لغة النبي ﷺ وأصحابه وعلماء الأمة، بل ولا في لغة العرب؛ فإن الاستشفاع طلب الشفاعة.

والشافع: هو الذي يشفع للسائل فيطلب له ما يطلب من المسئول المدعو المشفوع إليه، وأما الاستشفاع بمن لم يشفع للسائل ولو طلب له حاجة، بل وقد لا يعلم بسؤاله فليس هذا استشفاعاً لا في اللغة ولا في كلام من يدري ما يقول. نعم هذا سؤال به ودعاؤه ليس هو استشفاعاً به.

www.altawhed.net

www.altawhed.net

ويقول شيخ الإسلام: ومعلوم أنه لو كان طلب دعائه وشفاعته واستغفاره عند قبره مشروعاً لكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان أعلم بذلك وأسبق إليه من غيرهم، ولكان أئمة المسلمين يذكرون ذلك، وما أحسن ما قال مالك: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها). قال: ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

أقوال العلماء في دفع الالتباس حول ما تقدم[٣٣]

الشفاعة ثابتة:

قال القاضي عياض في «شرح مسلم» (ج١ ص٥٦٥): مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً، ووجوبها بصريح قوله تعالى: ﴿لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [طه: ١٠٩]، ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] وأمثالها، وبخبر الصادق سمعاً، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحتها في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها، ومنعت الخوارج[٣٤] وبعض المعتزلة منها،

(٣٣) نظراً لأهمية أمر الشفاعة، وكثرة كلام المضللين كتبنا هذه الايضاحات لأمر الشفاعة، حيث وافق صدور أعداد المجلة في الكلام عن الشفاعة صدور بعض الصحف السيارة التي ذكرت ضلالات وخزعبلات حول الشفاعة، وغرروا على بعض الجهلاء في ذلك.

(٣٤) اعلم أن إثبات الشفاعة هو الذي عليه الإجماع، وأن الإجماع لا يكون إلا بنص من قرآن أو سنة، فيكون النص قطعي الثبوت لوروده في القرآن الكريم، وتواتر أحاديثه في السنة، كما ذكر النووي، رحمه الله، ويكون قطعي الدلالة؛ لأن الإجماع يعني إثبات معنى قطعي لا يجوز القول =

www.altawhed.net

www.altawhed.net

وتأولت الأحاديث الواردة فيها، واعتصموا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وبقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وهذه الآيات في الكفار، وتأولوا أحاديث الشفاعة في زيادة الدرجات وإجزال الثواب، وألفاظ الأحاديث التي في الكتاب وغيره تدل على خلاف ما ذهبوا إليه.

وينبغي ألا يستهين عبد بدخول النار، ثم الخروج منها؛ لأن عذاب النار أليم يفوق كل نعيم الدنيا، ولا يجوز لعبد أن يستهين بنعيم الجنة ودخولها، ولو لحظة؛ لأنه لا طاقة لمن عرف الجنة ونعيمها أن يتحمل بقاءه خارجها، وفي ذلك وردت نصوص شرعية كثيرة؛ منها:

= بخلافه في إثبات الشفاعة، وتنبه إلى أن الخوارج والمعتزلة من فرق الضلال، وأن مخالفة فرق الضلال لا تنقض الإجماع، بل إذا علم المسلم مخالفة فرق الضلال تيقن أن قولهم باطل بلا شك؛ لأن معنى مخالفة فرق الضلال أن أهل السنة عندهم الأدلة المستفيضة التي تقوم بها الحجة وتزول بها الشبهة، وأنهم ردوا أقوال أهل الضلال في قرون العلم والخير، القرون الفاضلة الثلاثة الأولى، فلا عبرة بأقوال فرق الضلال، ولا تنقض الإجماع.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

عن أنس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يُقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»(٣٥).

وأخرج البخاري ومسلم(٣٦) عن أنس يرفعه: «إن الله تعالى يقول لأهون أهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم: قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم؛ أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك».

تنبيه:

أولاً: في حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، الذي روى فيه قصة الشفاعة يوم القيامة، أن المحامد التي يلهمها النبي

(٣٥) أخرجه مسلم (٢٨٠٧).

(٣٦) البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥).

www.altawhed.net

www.altawhed.net

ﷺ كانت بعد السجود، وفي حديث أنس قبل السجود في حالة القيام، وذلك يدل على أنه عليه الصلاة والسلام أكثر من التحميد والثناء في هذا المقام كله في قيامه وسجوده، إلى أن أسعف في طلْبته.

ومن المعلوم أن الآخرة دار جزاء، فلا يظن أحد أن المحامد التي يقوم بها الشافعون تقربًا لربهم ليشفعوا أنها من قبيل التكليف الذي يستلزم المشقة، بل هو من قبيل التنعيم، ويعين على فهم ذلك قول النبي ﷺ يصف أهل الجنة، في الحديث الذي أخرجه مسلم في «صحيحه»(٣٧) من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنه: «يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاء(٣٨) كرشح المسك، يلهمون التسبيح والحمد كما تلهمون النَّفَس». ومعلوم أن العبد يجد السعادة في يسر تنفسه، والشقاء في منع نفَسه من الخروج والدخول.

(٣٧) مسلم (٢٨٣٥).

(٣٨) هو تنفس المعدة من الامتلاء.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

ثانيًا: لا شك في أن الكفار متفاوتون في العذاب، كما علم من الكتاب والسنة، فمعلوم على القطع أن عذاب من قتل الأنبياء وفتك بالمسلمين، وأفسد في الأرض ليس مساويًا لعذاب من كفر فقط وأحسن معاملة المسلمين - مثلاً - فلم يسفك لهم دمًا، أو يهتك لهم عِرضًا، بل أحسن معاملتهم.

قال ابن حجر: تفاوت الكفار في العذاب لا شك فيه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

فريق في الجنة وفريق في السعير:

اعلم أخا الإسلام: أن رب العزة سبحانه قضى قضاءً قد فرغ سبحانه منه، وذلك القضاء أن رب العزة سبحانه علم أهل الجنة من أهل النار، وكتبهم في كتاب عنده، فلا يزاد عليهم ولا ينقص، ونعلم أن أهل الجنة ينقسمون إلى قسمين:

الأول: الذين يدخلون الجنة بغير سابقة عذاب، وهم أقسام:

أ- الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

www.altawhed.net

www.altawhed.net

ب- الذين قضى الله عليهم الحساب فرجحت حسناتهم سيئاتهم.

ج- الذين قضى الله عليهم الحساب فرجحت سيئاتهم فأخذوا إلى النار، ولكن تداركتهم رحمة ربهم فعفى عنهم، أو قَبل فيهم شفاعة الشافعين، فأدخلهم الجنة بغير سابقة عذاب.

الثاني: الذين يدخلون الجنة بعد قصاص في النار منهم، فلا يُخلد في النار إلاَّ الكافر.

أخرج الترمذي(٣٩) عن عبد الله بن عمرو قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان ؟» فقلنا: لا يا رسول اللّه، إلا أن تخبرنا، فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً»، ثم قال للذي في شماله: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً». فقال أصحابه: ففيم العمل يا

(٣٩) الترمذي (٢١٤١) وقال: حسن غريب صحيح.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه ؟ فقال: «سددوا، وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل». ثم قام رسول الله ﷺ فنبذهما، ثم قال: «فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير».

وفي الحديث دلالة على أن أهل الجنة قد عرفهم رب العزة سبحانه، فالشفاعة لا تزيد عددهم ولا تنقص منهم، إنما هو إظهار القدر الذي قدره رب العالمين سبحانه، حتى إنه يبقى بعد الشفاعات من هؤلاء الذين قضى الله لهم بالجنة بقية في النار فيخرجهم رب العزة سبحانه بيده، وقد امتحشوا ولم يعملوا خيراً قط.

هذا، وإن رب العزة يقدر كل شيء، فلا يقع شيء إلا بقدره، فمن تلك المقادير التي يقدرها الله سبحانه أن يُذكر المؤمنين في الجنة بإخوانهم الذين دخلوا النار ليشفعوا لهم عند الله سبحانه، كما جاء في الحديث الطويل عند البخاري ومسلم(٤٠) مطولاً، وجاء فيه: «حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة للّه

(٤٠) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

www.altawhed.net

www.altawhed.net

الشفاعة

الشفاعة: التوسط بالقول لوصول شخص إلى منفعة يرجوها أو خلاص من مضرة يخشاها دنيوية كانت أو أخروية، وهي إما حسنة أو سيئة.

معنى الشفاعة:

لفظة الشفاعة في استعمال الشرع معناها: الدعاء.

ففي حديث مسلم[1] عن أنس وعائشة: أن النبي - ﷺ - قال: «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه».

قال ابن الأثير في النهاية: الشَّفعة في الملك معروفة وهي مشتقة من الزيادة؛ لأن الشفيع يضم المبيع إلى ملكه فيشفعه به، كأنه كان واحداً وتراً فصار زوجاً شفعاً، والشافع هو الجاعل الوتر شفعاً.

وقال: الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بالدنيا والآخرة. وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم. يقال: شفع يشفع شفاعة. فهو شافع وشفيع،

(١) مسلم (٩٤٧).

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

والمشفَّع: الذي يقبل الشفاعة. والمشفع الذي تقبل شفاعته.

وقال: شاة شافع إذا كان في بطنها ولدها ويتلوها آخر.

قال الراغب: الشفاعة؛ الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه. وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. ومنه الشفاعة في القيامة. قال تعالى: ﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ [مريم: ٨٧]، ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾؛ أي: من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعاً له أو شفيعاً في فعل الخير والشر فعاونه وقواه وشاركه في نفعه وخيره. انتهى بتصرف.

الشفاعة الحسنة: هي أن يشفع الشفيع لإزالة ضر أو رفع مظلمة عن مظلوم، أو جر منفعة إلى مستحق من غير ضرر بغيره؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، والشفيع مأجور على شفاعته؛ لقوله تعالى: ﴿من يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

www.altawhed.net

www.altawhed.net

في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم في النار، يقولون: يا ربنا، كانوا يصومون معنا، ويصلون ويحجون، فيُقال لهم: أخرجوا من عرفتم...» إلى آخر الحديث الطويل. فيكون تقدير رب العالمين بأن يُذكر المؤمنين بعد دخول الجنة بإخوانهم فيشفعون لهم، فكأن الله يبقي في النار من يشاء، ثم يُذكر بهم أهل الشفاعة، ثم يأذن لمن يشاء، وكذلك فهو يقدِّر أن يقول أهل النار من المشركين لبقية عصاة الموحدين (استوينا معكم في النار) فما نفعكم إيمانكم، فيغار رب العزة ويقول: «وعزتي وجلالي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله». ولا يخلد في النار إلا المشركون، إلا من حبسهم القرآن.

فانظر كيف قدر رب العزة على لسان أهل النار قولاً بعد كل تلك الشفاعات ليخرج سبحانه بقية من كتب لهم الجنة، مع أنه يرد شفاعة النبي ﷺ فيهم، لا يردها بقوله: لا يدخلون الجنة، أو لا يخرجون من النار، إنما يقول: «هذه ليست لك»؛ لأنها لله وحده: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾.

ويقدر الله عز وجل أن يبقى في النار مع المشركين أقوام شهدوا أن لا إله إلا الله ولم يفعلوا خيراً قط، ويقدر الله

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

سبحانه أن يُعيرهم المشركون ويقولون لهم: ما نفعتكم لا إله إلا الله، فينادي رب العزة سبحانه ويقول: «وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال: لا إله إلا الله خالصة من قلبه»، فيقبض رب العزة سبحانه من النار قبضة، فيخرج أقواماً لم يفعلوا حسنة قط، فيدخلهم الجنة، وهؤلاء هم الذين سأل النبي ﷺ أن يشفع فيهم، فقال له الله سبحانه: «هذه ليست لك». يعني أنها لله سبحانه، وليست لأحد من الخلق.

بهذا نفهم قوله سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [ص: ٤٤].

وبهذا يظهر ما سكت عنه حديث الشفاعة الطويل ووضحته أحاديث أخرى، وكأن سبب ذلك أن راوي الحديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ طُلب منه أن يُحدث في ذلك الوقت عن الشفاعة التي أنكرها أهل البدع، فاختصر الحديث هكذا.

إيضاح: يقول القاضي عياض[٤١]: مجرد الإيمان، الذي هو التصديق لا يتجزأ، وإنما يكون هذا المتجزئ لشيء

(٤١) إكمال المعلم (١/ ٥٦٦).

www.altawhed.net

www.altawhed.net

زائد عليه من عمل صالح، أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلوب؛ من شفقة على مسكين وخوف من اللَّه، ونية صادقة في عمل فاته، ويدل عليه قوله: «وكان في قلبه من الخير ما يزن كذا وكذا». وكذلك في الحديث الطويل يقول الله تعالى: «شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط». وقوله في حديث أنس وغيره: «لأخرجن من النار من قال: لا إله إلا اللَّه». فهؤلاء هم الذين معهم مجرد الإيمان، وهم الذين لم يؤذن في الشفاعة فيهم لأحد من الخلق، وإنما دلت الآثار أنه أذن لمن عنده شيء زائد من العمل على مجرد الإيمان، وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين دليلاً عليه ليعرفوه به، وتفرد الله جل جلاله بعلم ما تكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده سوى الإيمان ومجرد شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وضرب بمثقال الذرة وأدناها المثل لأقل الخير والشر، إذ تلك أقل المقادير.

وقوله: «من كان في قلبه كذا وكذا» دليل على أنه لا ينفع من العمل إلا ما حضر له القلب وصحبته النية، وفيه دليل على القول بزيادة الإيمان ونقصانه، وهو مذهب أهل السنة. (انتهى بتصرف يسير).

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

وكلام القاضي عياض هام في بيان أن الإيمان المجرد هو يقين القلب بقول: لا إله إلا اللَّه، لا مجرد نطق اللسان، وأن ذلك وحده لا يكفي لدخول صاحبه في الشفاعة التي يأذن الله فيها للخلق، حتى يكون معها من العمل شيء، وأن الله يعرف الأنبياء والملائكة والشافعين ذلك العمل بأدلة يتعرفون عليهم بها، ويبقى صاحب: لا إله إلا اللَّه، الذي قالها خالصة من قلبه لا يخرجه من النار إلا الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال جل ذكره: ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال سبحانه على لسان لقمان الحكيم: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

www.altawhed.net

www.altawhed.net

هذه الآيات الكريمة الدالة على أن الله سبحانه وتعالى يحاسب العبد على الذرة ولا يظلمه من الخير مثقال ذرة، لا يتيسر فهمها إلا بإثبات نصوص الشفاعة السابقة، حيث إنه سبحانه يقتص منهم في النار بعدله، ثم يخرجهم فضلاً منه بشفاعة الشافعين فيدخلهم الجنة، فالعدل من الله سبحانه، والفضل منه.

مصائب الدنيا كفارات:

أخرج أحمد(٤٢): أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأضربهم وأسبهم، فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «بحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك عليهم، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك». فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «ما له! ما يقرأ كتاب الله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ

(٤٢) المسند (٦/ ٢٨٠) وسنده صحيح.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾». فقال الرجل: يا رسول الله، ما أجد شيئاً خير من فراق هؤلاء - يعني عبيده - إني أشهدك أنهم أحرار كلهم.

فينبغي للعاقل أن يتدبر في ذلك اليوم: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾، والله هو الملك فيه، لا يملك معه أحدٌ شيئاً، إنما الملك كله لله سبحانه، وهو لا يظلم شيئاً، ولو كان مثقال ذرة.

وهذا يجعلنا نفهم أن الله يطهر المؤمنين قبل دخول الجنة، وأن التطهير يقع للمؤمن منذ كان في الدنيا بما يصيبه من مصائب وآلام تحط ذنوبه، ثم من بقي عليه من الذنوب طهره في قبره بعذاب القبر وفتنته، ثم لمن بقي عليه من الذنوب بأهوال يوم القيامة، ثم بالقصاص بين العباد، فمن بقي عليه من الذنب ولم ينله من العفو دخل النار يتطهر فيها، ثم يأذن الله سبحانه له فيدخله في شفاعة من يشاء من الشافعين، ولا يحبس في النار إلا الكافر الذي لم يشهد لربه بالوحدانية، وذلك لأن الله يجعل نعمه على عبده المؤمن صدقة منه عليه، أما الكافر فإن الله سبحانه لا يجعل نعمه عليه صدقة، بل يؤاخذه بها، فتكون أعماله التي هي من

www.altawhed.net

www.altawhed.net

جنس الخيرات سراب لا ينفع، ورماد اشتد به الريح في يوم عاصف، فيجعلها الله هباءً منثوراً، لا يقدر منها على شيء، وذلك لأن أصغر النعم لو وزنت أمام عمل العبد لرجحت النعمة، وخفت أعمال العبد، ولِمَ لا ؟ والعبد لا يبيع أي نعمة من: سمع، أو بصر، أو غيره بكنوز الأرض !!

أخرج أحمد(٤٣) عن أبي عثمان قال: كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة، وأخذ منها غصناً يابساً، فهزه حتى تحات ورقه، ثم قال: يا أبا عثمان، ألا تسألني لِمَ أفعل هذا ؟ قلت: ولِمَ تفعله ؟ فقال: هكذا فعل رسول الله ﷺ، وأنا معه تحت شجرة، فأخذ منها غصناً يابساً، فهزه حتى تحات ورقه، فقال: «يا سلمان، ألا تسألني لِمَ أفعل هذا ؟» فقلت: ولِمَ تفعله؟ قال: «إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما يتحات هذا الورق». وقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾.

(٤٣) المسند (٥/ ٤٣٧).

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

وعن أنس، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أخذ غصناً فنفضه، فلم ينتفض، ثم نفضه، فلم ينتفض، ثم نفضه، فانتفض، فقال رسول الله ﷺ: «إن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها»(٤٤).

وفي البخاري ومسلم(٤٥) عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيت النبي ﷺ في مرضه وهو يوعك وعكاً شديداً، وقلت: إنك لتوعك وعكاً شديداً، قلت: إن ذاك بأن لك أجرين ؟ قال: «أجل، ما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتَّ الله عنه خطاياه، كما تتحات رق الشجر».

وأخرجا(٤٦) عن أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياه».

(٤٤) حسنه الألباني ـ رحمه الله ـ في الصحيحة (٣١٦٨).
(٤٥) البخاري (٥٦٤٧)، ومسلم (٢٥٧١).
(٤٦) البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣).

www.altawhed.net

www.altawhed.net

وأخرج مسلم[٤٧] عن أنس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمن حسنة؛ يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا قضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها».

رحمة الله خير للعبد من عمله:

قال ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»:

فما أصاب العبد مصيبة قط دقيقة ولا جليلة إلا بما كسبت يداه، وما يعفو الله عنه أكثر، وما نزل بلاء قط إلا بذنب، ولا رُفع بلاء إلا بتوبة، ولهذا وضع الله المصائب والبلايا والمحن رحمة بين عباده يكفر بها من خطاياهم، فهي من أعظم نعمه عليهم وإن كرهتها أنفسهم، ولا يدري العبد أي النعمتين عليه أعظم؛ نعمته عليه فيما يكره، أو نعمته عليه فيما يحب، وما يصيب المؤمن من هم ولا وصب ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه، وإن كان للذنوب عقوبات ولا بد، فكلما عوقب العبد من ذلك قبل الموت خير له مما بعده وأيسر وأسهل بكثير.

(٤٧) مسلم (٢٨٠٨).

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لن يُدخل أحداً عمله الجنة». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة، فسددوا، وقاربوا، ولا يتمن أحدكم الموت، إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب»[٤٨].

وقال ابن القيم: إنه لولا رحمة الله لعبده لما أدخله الجنة؛ لأن العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب دخول الجنة، ولا أن يكون عوضاً لها؛ لأنه لو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة، فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها، وهو لم يوفها حق شكرها، فلو عذبه في هذه الحالة فهو غير ظالم، وإذا رحمه في هذه الحالة كانت رحمته خيراً من عمله. اهـ

ولا تعارض بين حديث: ﴿لن يدخل أحداً عمله الجنة﴾، وبين قوله تعالى: ﴿ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقد فصل ذلك ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»، كما بينها ابن حجر في «الفتح» عند الحديث رقم (٦٤٦٣)، ذكر من ذلك أوجه؛ منها:

(٤٨) البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

www.altawhed.net

www.altawhed.net

أولاً: أن التوفيق للعمل من رحمة اللَّه، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة.

ثانيًا: أن العبد مكلف بطاعة سيده؛ لأنه صاحب نعمة الإيجاد من عدم وسائر النعم عليه، فما خلقه إلا لعبادته، فمن سكن دارًا يملكها لم يطالب بأجر يدفعه، فكذلك الخالق خلق الإنسان ليعبده، فعليه أن يعبده، ولا يستحق الأجر، فإذا أعطاه الأجر فذلك محض فضل منه سبحانه.

ثالثًا: أن دخول الجنة إنما يكون برحمته، أما اقتسام الدرجات فيكون بالعمل، فيكون الحديث عن الدخول، والآية الكريمة عن المنازل في الجنة، فلا تعارض.

رابعًا: أن زمن الطاعة هو الحياة الدنيا القصيرة، وزمن الإنعام لا ينتهي، والنعيم لا ينفد، فالإنعام الذي لا ينفد فضل من الله لا بمقابلة الأعمال.

خامسًا: أن العمل بمجرده لا يكفي للثواب، إلا أن يكون مقبولاً، والقبول من الله سبحانه، فهو فضل من الله سبحانه أن قبل من العبد من غير حاجة منه سبحانه؛ لأنه غني عن طاعة الطائعين، وعمل الخلق أجمعين.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

هذا، ولكن رحمة الله يطلبها العبد بأسباب وأبواب، فمن تتبع تلك الأسباب ودخل من تلك الأبواب نال من رحمة الله سبحانه ومن تلك الأبواب الشفاعات، ومن أسباب سعادة العبد بالشفاعة الإخلاص لحديث أبي هريرة السابق: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصة من قلبه».

هذا، وأحاديث الشفاعة كثيرة بلغت حد التواتر، ونأمل أن نكون بكلماتنا هذه قد ميزنا الشفاعة الحقة التي هي للَّه كلها، عن الشفاعة الباطلة التي ينسبها المشركون وأتباعهم من الجهلاء لمن يشركونهم مع الله من البشر وغيرهم، ونكون أيضًا قد رددنا شبه من ينكرون الشفاعة الحقة ويتبعون سبل أهل الضلال في ذلك.

والله من وراء القصد، والحمد للَّه رب العالمين.

www.altawhed.net

www.altawhed.net

هذا، ولكن رحمة الله يطلبها العبد بأسباب وأبواب، فمن تتبع تلك الأسباب ودخل من تلك الأبواب نال من رحمة الله سبحانه ومن تلك الأبواب الشفاعات، ومن أسباب سعادة العبد بالشفاعة الإخلاص لحديث أبي هريرة السابق: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصة من قلبه».

هذا، وأحاديث الشفاعة كثيرة بلغت حد التواتر، ونأمل أن نكون بكلماتنا هذه قد ميزنا الشفاعة الحقة التي هي للّه كلها، عن الشفاعة الباطلة التي ينسبها المشركون وأتباعهم من الجهلاء لمن يشركونهم مع الله من البشر وغيرهم، ونكون أيضاً قد رددنا شبه من ينكرون الشفاعة الحقة ويتبعون سبل أهل الضلال في ذلك.

والله من وراء القصد، والحمد للّه رب العالمين.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
١ ـ معنى الشفاعة	٥
٢ ـ الشفاعة: إما دنيوية أو أخروية	٧
٣ ـ أخذ الأجرة على الشفاعة	٨
٤ ـ الشفاعة الحقة	١٢
٥ ـ تحقيق كلمة التوحيد	١٣
٦ ـ نفي الشفاعة الحقة قول المبتدعة	٢٣
٧ ـ الشفاعة ملك لله وحده	٢٥
٨ ـ الفرق بين شفاعة الخالق وشفاعة المخلوق	٣٠
٩ ـ أنواع الشفاعة	٣٨
١٠ ـ أقوال العلماء في دفع الالتباس حول ما تقدم	٥٢
١١ ـ مصائب الدنيا كفارات	٦٣
١٢ ـ رحمة الله خير للعبد من عمله	٦٧

www.altawhed.net

www.altawhed.net

والشفاعة السيئة: أن يشفع في هضم حق أو إعطائه لغير مستحق، أو يشفع في إسقاط حد بلغ السلطان، وهو منهي عنه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وعلى الشفيع وزر من ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

والشفاعة: ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك، فهي على التحقيق إظهار منزلة الشفيع عند المشفَّع وإيصال المنفعة إلى المشفوع له.

والشفاعة: إما دنيوية، أو أخروية.

الشفاعة الدنيوية: قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥]؛ الشفاعة الحسنة في الدنيا هي شفاعة مقبول الشفاعة عند ذي سلطان أو مال في حاجة إنسان جائزة شرعاً وصاحبها مأجور وإن لم تقبل شفاعته؛ لحديث البخاري ومسلم[٢] عن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله

(٢) البخاري: (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧).

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء».

والشفاعة جائزة في التعزير دون الحدود بلغت الحاكم أم لم تبلغه، ما لم تكن في معلن بالشر.

أما الشفاعة في الحدود إذا بلغت السلطان فهي حرام؛ لقول النبي ﷺ لأسامة بن زيد: «يا أسامة، أتشفع في حدٍّ من حدود الله»[٣]. ولحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله فقد ضادَّ الله، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع عنه، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال[٤] حتى يخرج مما قال»[٥]، إلا أن يكون شفاعة في إسقاط القصاص إلى الدية بعفو المجني عليه أو أوليائه.

أخذ الأجرة على الشفاعة:

في الحديث عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «من

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٨٨).

(٤) الوحل الشديد.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، وأحمد (٢/ ٨٢).

www.altawhed.net

www.altawhed.net

شفع لأخيه بشفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا»[٦].

قال في «فتح الودود»: وذلك لأن الشفاعة الحسنة مندوب إليها، وقد تكون واجبة فأخذ الهدية عليها يضيع أجرها، كما أن الربا يضيع الحلال، والله تعالى أعلم.

فائدة: ومن الشفاعة الحسنة الدعاء للمسلمين بالخير، ومن الشفاعة السيئة الدعاء على المسلمين، أو على بلادهم، أو على ما يملكون من متاعٍ وزرعٍ وغير ذلك، وقد وعد الله بالنصيب في الشفاعة الحسنة والكفل في الشفاعة السيئة؛ لأن النصيب يقبل الزيادة، أما الكفل فمعناه المساوى؛ إشارة إلى لطف الله بعباده سبحانه.

أخرج الترمذي[٧] عن عوف بن مالك الأشجعي - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة؛ وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً»..

(٦) أخرجه أحمد (٥ / ٢٦١).

(٧) «سنن الترمذي»: (٢٥٥٨).

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

وأخرج البخاري ومسلم[٨] عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة».

الشفاعة الشركية: قال تعالى في سورة «سبأ»: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

قال ابن القيم: قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعاً، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من نفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الأربع: إما مالك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكاً للمالك كان له معيناً وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده، فنفى الله سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً متنقلاً من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك والشركة والمظاهرة[٩]

(٨) البخاري (٥٩٤٥)، ومسلم (١٩٨).

(٩) المعاونة والمساندة والتأييد.

www.altawhed.net

www.altawhed.net

والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت الشفاعة التي لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه، فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد وقطعاً لأصول الشرك ومواده لن عقلها.

والقرآن الكريم مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونها في نوع، وقوم قد خلوا من قبل لم يعقبوا وارثًا، فهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك.

إن اتخاذ الشفعاء والأنداد من دون الله؛ هضم لحق الربوبية، وتنقص للعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٥].

فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به، ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده، ولهذا أخبر سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم ما قدروا الله حق قدره، وكيف

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

يقدره حق قدره من اتخذ من دونه نداً أو شفيعاً يحبه ويخافه ويرجوه ويذل له ويخضع له، ويهرب من سخطه ويؤثر مرضاته ويدعوه ويذبح له وينذر، يسوونهم برب العالمين: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، سووهم في المحبة والتعظيم والعبادة.

الشفاعة الحقة:

والشفاعة التي أثبتها الله تعالى ورسوله ﷺ هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده، والتي نفاها الله تعالى هي الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء فيعاملون بنقيض مقصودهم من شفاعتهم ويفوز بها الموحدون.

الشفاعة في الآخرة:

أجمع أهل السنة على وقوع الشفاعة في الآخرة ووجوب الإيمان بها؛ لما جاء في آيات القرآن الكريم؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، والأحاديث في

www.altawhed.net

www.altawhed.net

الشفاعة تبلغ بمجموعها حد التواتر؛ أي التواتر المعنوي(١٠).

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصة من قلبه أو نفسه». رواه البخاري(١١)

تحقيق كلمة التوحيد:

قال في «فتح المجيد»: لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها.

أحدها: العلم المنافي للجهل.

الثاني: اليقين المنافي للشك.

الثالث: القبول المنافي للرد.

الرابع: الانقياد المنافي للترك.

الخامس: الإخلاص المنافي للشرك.

السادس: الصدق المنافي للكذب.

(١٠) قسم علماء الأصول المتواتر إلى قسمين: ١ ـ لفظي ٢ ـ معنوي.
واللفظي: هو ما تواتر لفظه.
ومعنوي: وهو أن ينقل جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب. وقائع مختلفة تشترك في أمر يتواتر ذلك القدر المشترك بينهم. وانظر تدريب الراوي (٢ / ١٨٠).

(١١) البخاري (٦٢٠١).

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

السابع: المحبة المنافية للبغض.

وقال في «قرة العيون»: فكان قولهم: لا إله إلا الله لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة؛ كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة، فإنهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الأموات والغائبين والطواغيت والمشاهد، فيأتون بما ينافيها فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم وقولهم وفعلهم، وينفون ما أثبتته من الإخلاص كذلك.

هذا، ويوضح ذلك حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنت رِدْف النبي ﷺ على حمار يقال له: «عفير»، فقال: «يا معاذ، تدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً». فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر به الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا(١٢)»(١٣).

(١٢) في ذلك فوائد منها: أن الاتكال على الوعد قد يوقع صاحبه في عذاب النار لأن الشيطان يلهي بالأماني فينسى العبد العمل، ومنها أن البشارة تمنع إذا توقع منها الضرر، ومنها أن بعض العلم يكتم على من لا يحسن الفهم فيه.

(١٣) أخرجه مسلم (٣٠).

www.altawhed.net

www.altawhed.net

إذاً فالشفاعة المطلوبة هي شفاعة المطاع الذي تقبل شفاعته، وهذه ليست لأحد عند الله إلا بإذنه قدراً، وبإذنه شرعاً، فلا بد أن يأذن فيها، ولا بد أن يُجعل العبد شافعاً، فهو الخالق لفعله، المبيح له.

فمن لم تقبل شفاعته كانت كعدمها، بل كان على صاحبها التوبة والاستغفار منها، كما قال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود:٤٧]. وذلك لأنه شفع لولده بطلب نجاته من الغرق، كما نهى الله النبيَّ ﷺ عن الصلاة على المنافقين: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة:٨٤]، وقال سبحانه: ﴿سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون:٦].

فالشفاعة المثبتة هي المقبولة، أما المردودة فلا يريدها أحد، لا الشافع ولا المشفوع له، ولا المشفوع إليه، ولو علم الشافع والمشفوع له أنها ترد لم يطلبوها - فلا بد للشفاعة من إذن قدري يُقدِّر لها الوقوع، وإذن شرعي يُقدِّر لها القبول.

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

فالشفاعة المقبولة جاءت في سورة «طه»: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [طه:١٠٨]، يعني إذناً للشافع ورضى قوله في المشفوع له. وفي سورة «سبأ»: ﴿وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ:٢٣]؛ أي لا تنفع شفاعة شافع إلا لمأذون له، وهو المشفوع له الذي تنفعه الشفاعة.

ولذا جاء في الحديث: «فيحد لي حداً، فأشفع فيهم»(١٤). وفي الحديث: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة». حتى قال: «ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة»(١٥).

ومن الشفاعة غير المأذون بها؛ شفاعة نوح عليه السلام في الدنيا لابنه فيما جاء في سورة «هود»: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن

(١٤) انظر صحيح البخاري (٤٢٠٦).

(١٥) البخاري (٦٩٧٥)، ومسلم (١٩٣).

www.altawhed.net

www.altawhed.net

تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٥- ٤٧].

ومن الشفاعة غير المأذون بها في الآخرة، شفاعة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في أبيه آزر؛ لحديث البخاري(١٦) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيمُ أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟! فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار».

وكذلك شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب لما قال ﷺ بعد موت عمه أبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك». فأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن

(١٦) البخاري (٣٣٥٠).

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

موقع مسجد التوحيد - بلبيس

يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

فانظر - رعاك الله - كيف أن الله لم يقبل من ثلاثة من الرسل من أولي العزم؛ فيهم إمام المرسلين ﷺ، فكيف بغيرهم، وأن شفاعة أحدهم في ولده، والثانية في والده، والثالثة في عمه الذي كفله ورعاه. ومنها شفاعة في الآخرة وشفاعتان في الدنيا، فتدبر حتى لا يلهنا الأمل عن العمل.

بل ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط، فقال: ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أن يشفع فيه فيؤذن لغيره أن يشفع فيه فيكون الإذن للطائفتين والنفع للمشفوع له - ثم قال -: فكما أن الإذن للطائفتين فالنفع أيضاً للطائفتين، فالشافع ينتفع بالشفاعة، وقد يكون انتفاعه بها أعظم من انتفاع المشفوع له، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما يشاء»(١٧).

(١٧) تقدم.

www.altawhed.net